المرأة والشغل

تظل تشتغل حتى ترزح من التعب . واذا رأت نفسها عاجزة تتأفف . لا تمكث في السرير سوى مدة الالم . ولا تلازمه الا في اشد حالات الضعف .

وهي سيدة مريضة لازمها الداء عشرين سنة فضيق خلقها وصغر نفسها وكاد يورثها اليأس على انها بالفطرة واسعة الصدر كبيرة النفس انما هي ضعيفة البنية عصبية المزاج عدا عن انه لم تستتب لها اسباب الراحة كلها مع كونها غنية ومن اسرة كريمة ولا نابتها الاحوال المحيطة بها اخصها الروحية . عندها ولدان فقط وهما شابان . وفي بيتها طاهٍ (عشي) وخادمتين . والبيت صغير لا يحتاج تدبيره الى شغل كثير

ومع كل ذلك هي تشتغل دائماً ولا تصرف ساعة بلا شغل . وشغلها مجرد لنفسه لا لما يعوزها منه بل انما هو في محله ولا يذهب منه شيئاً جزافاً او بلا جدوى . لانها ترى من نفسها دافعاً قوياً له ورغبة شديدة فيه ولها من حكمتها واصالة رأيها ما يحملها على ترتيب اشغالها وجعلها مفيدة وضرورية ولو كانت هي ذاتها بغنى عنها .

عرفت هذه السيدة جيداً وعاشرتها كثيراً ولطالما تساءلت عما يدفعها الى الاجتهاد . وهي ربيبة اليسر والوجاهة . ولم ار غير المبدإ جواباً اجاوب به نفسي

مبدأ الشغل هو الذي ينشط هذه السيدة على الشغل . والمبدأ قوة عظيمة في النفس تفعل عجائب . وهذا سر ما نراه من الفرق بين المنازل

فلو تعودت كل سيدة ان تجعل الشغل مبدأ لها لخفت عليها وطأة التعب وقويت على عمل كل شيء . ومن لم تتعود ولا تستطع ان تعتاد . فلا اقل من ان تعود بناتها الشغل . والشغل واجب

الرصيف

خطاب للمنشيء الحسناء القاه في حفلة جمعية غرف القراءة الوطنية في بحمدون في الصيف الماضي

انّ مساءً زاهياً كالصبح في نيسان واجتماعاً بهياً كالروض في الربيع · ومكاناً مقدساً لعبادة الله وغاية مجيدة خير البشر امور تحبب الي ان احدثكم عن مكان فيه عبدت الله مرات عديدة وفيه تمثلت كثيراً من شؤون الناس · منه اشرفت على مناظر طبيعية بديعة ومنه اكتسبت معانياً سامية واستمديت وحياً سماوياً ·

عفواً ايها المتدينون لا تتسرعوا في الحكم عليّ ولا تتوهموا الكفر في ما اقول · فان باب الوحي لا يزال مفتوحاً وكل فكر سام لا محالة مورده السماء

والمكان الذي احدثكم عنه يا سادة قريب منكم بعيد عنكم · ترونه في كل حين وقلما تذهبون اليه او تفكرون فيه · فاتبعوني بافكاركم ولا تخفن يا سيدات فالمسافة قريبة ولا مشقة في الطريق وها نحن الآن في سفح الجبل موضوع هذا الحديث ·

الى الشرق الجنوبي منا الآن جبل ممتدٌ شرقاً فغرباً يدعى الرصيف · هو على قمة في بحمدون · الى هذا الجبل انا صاعد بحديثي · فرافقوني لتبتعد عن ضوضى البلد ونطلق للنفس مجال التأمل والدرس · ولا تستثقلوا مرافقتي فانني لا احدثكم عنه جغرافياً ولا جيولوجياً ولا اعدّكم احجاره واحلل تربته وأقيس ارتفاعه · كلاّ بل احدثكم عن معانٍ تمثلتها فيه ومنه لعل فيها عبرة ومنها ذكرى

الى الرصيف الى ذلك المعتزل المرتفع كنت اذهب في الصباح الباكر استقبل الشمس من نحو صوفر واتمثل بشروقها وبثها الحرارة في الارض عظمة العلم وبثه النور في النفوس واتألم مما يمنع المصيفين من النهوض في مثل هذا الحين · كنت امكث وحدي ساعات اتأمل في الخليقة والخالق · فأستجلي معاني الطبيعة وامعن الفكر في اسرار الكون ونواميس الاجتماع · واربح

النفس من عناء العالم ومتاعب الاشغال · فاشعر بلذة عظيمة لا يراها المرء في القهوة ولا في المدينة

ولطالما صليت الى اله الطبيعة الى مهندس الكون الاعظم الى الله الآب الى الواحد الاحد الى علة العلل ومكوّن الاكوان ولطالما كنت ارى النفس تمتلىء من الروح الالهية اكثر منها في غير مكان · واراها تقترب من الله كثيراً اذ تتخذ العقل كاهناً لها والعقل اعرف بعواطف القلب المرافق له في جسد واحد

وكان اخضرار الكرم الغضّ اليانع يمثل لي مهابة النضارة في العافية وان جمال الصحة فوق كل جمال · وتغطية الاوراق للثمر اتمثله كالأم الحنون تحضن ابناءها بنفسها ولا تتكل على مرضع او خادمة · وارى في امالة الهواء للورق عن العنب ليتعرض للشمس حكمة بالغة يجب على الوالدين اقتباسها وتعريض ابنائهم للذكاء · ويريني تورد العنب مثالاً اكيداً لقوة الشمس على توريد الخدود فاتمنى لو تتعلم ذلك المحجّبات عن نورها في البيوت · واتذكر تورّد خدود القرويات وعدم اهتمام المدنيات باللون الطبيعي وعدم تطلبه من حيث يمكن الحصول عليه بدلاً من الصناعي · وكان تجمع حبات العنب في العنقود الواحد يمثل لي جمال الاجتماع وامكان الاتفاق وقوة الاتحاد · وكنت افكر في عصيره واختماره وكم له من الضحايا العديدة

كنت استصعب تسلق الجبل قبل بلوغ قمته وكان استصعابي لذلك مؤخراً لي عن تسلقه · شأن كل شيء قبل الاقدام عليه

ولكني لما اقدمت وبلغت القمة لم اعد اره صعباً بتة لانني ادركته وهكذا كل من سار على الدرب وصل وكلما اراده الانسان يدركه ان بدأ به · وكثير من الناس يتمنون اقتباس فنّ من الفنون الجميلة او اتيان عمل من الاعمال العظيمة

واذ يستصعبون الاقدام على ما يبتغون يفوتهم ما يتمنونه وهم لو اقدموا لفازوا ان ساعدتهم الاحوال

كنت اتعب بالتصعيد ولما اجلس على قمة الجبل انسى التعب وارى الراحة نتيجة له وانها لولاه لما كانت بل ايضاً لما سرّت واطالما قلت يا حبذا لو اهتم جميع الوالدين بتربية الاولاد على الرضى بالتعب وتفهيمهم انه سرّ الحياة وانما مخلوقون لنتعب وبمقدار اتعابنا يكون مبلغ فوزنا في العالم

وهناك اطلال عمران قديم كانت تمثل لي تقلب الايام وتريني تغير اشكال المادة باجلى بيان فيروعني عدم الاهتمام بالمستقبل وارى مصير المتهاملين المتوا كلين الى الخراب

كنت أشرف على قرى المتن واحراجه . واقابل بين اخضرارها وجردة جبال الشوف وكسروان فيتضح لي الفرق بين الاجتهاد والكسل وبين الاستعداد وغير الاستعداد

كلما ارتفع الى القمة تزداد المناظر اتساعاً امام عيني كالمطالع كلما ازداد مطالعة توسعت معارفه . ولما اراني بلغت اعلى الجبل وبنفسي مرام اتمنى لو تبلغ اليها عيناي ارى كلّ علوٍ يقصر عن اعلى واتأكد ان فوق كل ذي علم عليم

الى البحر كانت تمتد مقلتاي فاتمثل من فيه من الذاهبين والآيبين وهم بين باكٍ للفراق ومستبشر باللقاء . بين سعيد وبائس

لاحظت القطار منسابا في بطن الوادي وفكّرت في مخترعيه ومنشئيه فاتضح لي الفرق بيننا وبينهم ونحن لا نخترع شيئاً حتى ولا في شاغر الجمل او جلال البغل

تأملت في فعل ذاك الهواء الحار الذي هبّ شرقياً من نحو شهر كيف يبّس العنب وعرّى الاغصان من الورق وشبهته بفعل لفحات الجهل وتيبيسها اثمار العقل الكامنة في الرؤوس الكبيرة وتعريتها الذكاء من النوق والتفنن

رأيت مرة حية كبيرة . تناهز الثلاثة اذرع طولاً تنساب بين كرمة احجار

وقفت عَلَى بعضها فلم اخف منها حين كنت اراها ولكنها لم توارت عني صرت اخشاها وما ذلك الا لانني صرت اجهل من اي مكان ستخرج أمن بين رجلي؟ أمن ورائي أم من امامي ؟

وكثيراً ما تمنيت لو ان المجمدونيين يهتمون بجعل الرصيف منتزهاً عمومياً يسهلون سبيل الوصول اليه بطريق مناسبة

ومع كل ذلك ما فاتني شيء من مناجاة الارواح عَلَى ما تحب وهل افضل من عزلة لا يؤنسها غير تغريد العصافير وصدى حفيف اوراق الكرم يغنم المعتزل فيها الفرصة ليناجي ارواح احبابه ويرتوي من سلسبيل الطبيعة المنعش . انها لعزلة جميلة تجلى فيها الروح عَلَى المادة فترتفع النفس الى اسمى السموات

ولظالما تمنيت لو ارى شجرة تظلني من حرّ الشمس بدلاً من القبعة تمني اليتيم لانسان يتبناه

فترون من كل هذه الافكار كيف ان الانسان يستطيع الاستفادة حتى من الجماد . فكيف به من الانسان . وان صفحات الطبيعة التي هي كتاب الله مفيدة لمطالعها كصفحات الكتب مؤلفات الناس . ولكن بما ان الاحوال لا تمكن كلّ امرئ من الاعتزال في كل وقت للدرس في الطبيعة بل هي كثيراً ما تعيقه وتمنعه قسراً عن ذلك وبما ان الانسان لا يستحيل عليه استطلاع اراء الانسان ان محادثةً وان مطالعةً وبما ان هذه ميسرة لديه في كل حين فليعتمد عليها اذاً وهي خير رفيق وافضل انيس

وما احرانا ايها السادة والسيدات ان نثني بلسان واحد عَلَى همة هذه الجمعية مؤسسة غرف القراءة . وان نمد الى مشروعها يد المساعدة . لانها جديرة بها